شعر العتبى

جمع وتحقيق

د. يونس أحمد السامرائي
كلية الآداب - جامعة بغداد

هو محمد بن عبيدالله بن عمرو ابن عتبة[١] . يكنى بابي عبدالرحمن ويلقب بألقاب كثيرة أشهرها (العتبى)[٢] .

لم تشر أخباره ولا تراجمه الى سنة ولادته ، ولكن نرجح من خلال أخباره انه ولد سنة ١٣٣هـ[٣] ، وأكبر الظن انه ولد في البصرة ولعل تلقيه بالبصري دليل هذا[٤] .

ويبدو انه نشأ في رعاية والده الذي كان معروفا في وقته[٥] ، وانه تمتع في صباه وشبابه بما يتيسر لابناء الموسرين[٦] . واتهم باستهتاره بالشراب وهي تهمة لا تصمد أمام ما وصلنا من أخباره ومجرى سيرته[٧]

---

(١) ينظر : جمهرة أنساب العرب ١١٢ واللباب ١١٨/٢ .
(٢) ينظر : التعازي والمراثي ١٦٤ والاخبار الموفقيات ٥٧ ، والاغاني ٩٨/٤ والمعارف ٥٣٨ .
(٣) تنظر دراستنا المفصلة عن حياته وأدبه .
(٤) ينظر : وفيات الاعيان ٣٩٨/٤ والوافي بالوفيات ٣/٤ .
(٥) ينظر الوفيات ٣٨٩/٤ والوافي ٣/٤ .
(٦) تنظر : دراستنا المفصلة عن نشأته وحياته .
(٧) تنظر الدراسة المفصلة عن نشأته وحياته .

ولاسيما تردده الى المساجد ، وحجه أكثر من مرة[٨] .

زار بغداد أكثر من مرة وجالس المأمون وكان له معه أكثر من خبر[٩] .

نال المتنبي قسطا وافرا من علوم العصر ومعارفه ، وكان والده مؤدبه الاول ولعل ما رواه عن والده من الأخبار المتنوعة شهيد على ثقافة واسعة شاملة[١٠] .

كما أخذ من رواة ومؤدبين كثيرين وروى عنهم أخباراً مستفيضة تناولت مختلف نواحي الحياة ، كسعد القصير[١١] .

وسفيان بن عيينه وأبي مخنف[١٢] ، وعدد كبير من الأعراب وسواهم[١٣] ، وبعد أن قطع شوطا بعيدا في مضمار تلقي العلوم والمعارف ، وأصبح متضلعا منهما ، أقبل عليه غير واحد من المتأدبين وطالبي الأخبار فأخذوا عنه ورووا أخبارا كثيرة جدا تناولت أنواعا شتى مما يتصل بنواحي الحياة المختلفة ، بل لقد أصبح له آراء في بعض المسائل الأدبية والفكرية والنقدية حتى كانت أحكامه الصائبة في مجالي الادب : شعره ونثره تعد من اسس النقد الادبي القديم في التقويم والتقدير ، مما حمل أصحاب

---

(٨) ينظر : الاخبار الموفقيات ٧٣ ـ ٧٤ والعقد الفريد ٣/٤٢١ ومرآة الجنان ٢/٩٧ .

(٩) ينظر : نور القبس ١٩٠ والطبري حوادث ١٥٨ والحيوان ٣/٤٤ والاخبار الموفقيات ٧٠ ـ ٧١ .

(١٠) ينظر : دراستنا المفصلة عن ثقافته .

(١١) ينظر : المعارف ٥٣٨ .

(١٢) تاريخ بغداد ٢/٣٢٤ .

(١٣) ينظر : العقد الفريد ٣/٤٢٩ وأمالي القالي ٢/١٣ والبصائر والذخائر ١/٣١٣ .

المؤلفات والمصنفات على تبنيها وتدوينها[١٤] . فممن اتصل به وأخذ عنه من الرواة :

أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرقاشي واسحاق بن محمد النخعي ، وعبدالعزيز بن معاوية القرشي وأبو العباس الكديمي وغيرهم[١٥] .

ووصفه بعضهم وصفا دقيقا قائلا : (كان حسن الصورة ، جميل الأخلاق ، وبلغ سناً عالية ، وكان حسن الخضاب ، ويلبس الطيالسة الزرق ، فلقب الشقراق للون خضابه ، وشدة حمرة وجهه ، وتلون طيالسته)[١٦] ، ووقفنا نحن من خلال أشعاره وأخباره على تحليه بصفات أخرى منها : الذكاء والتدين والقناعة والصبر والاباء وكتمان السر ، والرعاية والاخلاص لذويه وخلانه ، والكرم ، وخفة الروح وحلاوة اللسان والقدرة على رواية الأخبار والبراعة على المداراة والتحفظ في القول والعمل[١٧] .

ولعل أهم ما في حياة هذا الرجل نكبته بأولاده السبعة بسبب انتشار الطاعون في مدينته ، وكان لهذه النكبة أثرها البعيد في حياته عامة وشعره خاصة ،

أثر للعتبي مجموعة من المؤلفات ، ذكرها بعض من ترجمه أو أشار اليه ، منها : كتاب الخيل ، وكتاب أشعار الأعاريب ، وكتاب : أشعار النساء اللائي أحببن ثم أبغضن ، وكتاب الذبيح ، وكتاب الاخلاق ، وكتاب

---

(١٤) ينظر : الكامل ٤/١٥٠ والاغاني ٧/٢٤٧ وتاريخ بغداد ٢/٣٢٥ .
(١٥) ينظر : تاريخ بغداد ٢/٣٢٤ .
(١٦) معجم الشعراء ٣٥٦ .
(١٧) ينظر : دراستنا عن صفاته .

الجواهر[١٨] .

والجدير بالذكر ان هذه المؤلفات مفقود ولعل بعضها منزو في بقعة من بقاع هذا العالم . ولم يصل الينا منها سوى نص واحد وهو مختصر من كتابه الجواهر[١٩] .

تقدم أن ثقافة العتبي كانت متنوعة ، واشار غير واحد ممن ترجم له الى ما كان يحسنه من فنون القول ، ويلم به من صنوف المعرفة . كما أشاروا الى شاعريته[٢٠] .

لم يشر أحد من مترجميه ولا ابن النديم الى أن له ديوان شعر ، ولكن أشار ابن خلكان الى أن شعره كثير ، ولا ندري لِمَ لمْ يجمع شعره أو لم يشر الى ديوانه ، ان ما تجمع لدينا من شعره يغلب عليه المقطعات ، فليس فيه سوى ثلاث قصائد تتراوح أبياتها بين ١١ - ١٣ بيتاً ، من مجموع احدى وخمسين مقطوعة وقصيدة تقع في أكثر من مائتي بيت .

ونازعه في بعض ما جمعناه له من الشعر بعض الشعراء : أمثال : عمر بن أبي ربيعة ، ومحمد بن أمية ، وابراهيم الصولي ، وأبي الشبل البرجمي .

توزع مجموع شعره على فنون الشعر المعروفة ففيه : فخر واخوانيات ووصف وعتاب ، وحكم ، وغزل ، وهجاء ، ورثاء . وهذه الفنون مرتبة بحسب عدد المقطعات أو القصائد في هذا المجموع .

وبالامكان الوقوف على جملة خصائص تتمثل في شعر العتبي منها :

---

(١٨) ينظر : الفهرست ١٣٥ ، ووفيات الاعيان ٣٩٨/٤ ، والوافي بالوفيات ٣/٤ .

(١٩) ينظر : اعتاب الكتاب ٥٩ .

(٢٠) ينظر : المعارف ٥٣٨ والتعازي والمراثي ١٦٥ والفهرست ١٣٥ وغيرها .

ان لغته المستخدمة فصيحة ، تمثلت فيها كل عناصر اللغة الشعرية الجيدة : من ايحاء وتأثير ، ونفور عن الغرابة أو الحوشي ، وان عباراته بليغة ، خالية من الالتواء أو التعقيد أو التقديم والتأخير في مفرداتها ، فضلا عن مجاراة الشاعر لطبيعة العصر الذي نشأ فيه التي ظهرت فيها عوامل التطوير والتجديد أو التحديث في نواحي الشعر كافة والتي نلاحظها في مقدمة أحد أبواب كتاب المبرد في التعازي والمراثي (٢١) .

ويبدو أن ثقافة الشاعر الشعرية وروايته لشعر سواه في الأخبار التي كان يتحدث بها قد أكسبته ـ الى جانب ما رزقه من موهبة شعرية جيدة ـ قوره ليرتفع بشعره الى مصاف الشعراء الجيدين البارعين ولا سيما في فن الرثاء كما تقدم .

ان هذه القدرة والطاقة الشعرية الخصبة كانت معيناً لا ينضب تمده بكل عناصر الشعر الجيد ـ فتكسب شعره أسراً ، وتضفي على معانيه وخياله براعة يلحظهما كل من يردد النظر في شعره .

لقد تهيأ للعتبي أن يركز معانيه ويعرضها عرضا محكما حتى أصبحت أمثلة تدور على ألسنة الناس ، ونماذج يتسارع المؤلفون الى اجتبائها وضمها الى مصنفاتهم (٢٢) .

كما تهيأ له أن يعرض بشيء من البراعة واللطف بعض ما صوره في شعره ، منه وصفه لسرعة فقدان أولاده الذين لم يمتع بهم (٢٣) .

ولعل خير ما يمثل لغة العتبي الشعرية الصافية ، وبراعته في عرض معانيه ، والتأثير في الآخرين ، باسلوب يجمع بين السهولة والجزالة ، حتى

---

(٢١) ص١٥٢ .
(٢٢) ينظر النص ١٠ ، ١٧ ، ٤٤ .
(٢٣) ينظر النص : ٤٧ .

ليخيل الينا انه يكاد يكون نسيج وحده قوله[٢٤] .

ومما يلحظ في شعره من هذه الخصائص قدرته على التصرف بالمعاني على الرغم من اكثاره النظم في الغرض الواحد ، يتضح هذا في فنه الذي كاد يختص به وهو الرثاء .

ولعل هذه الخصيصة هي التي حملت بعض من تمثل بهذا الفن من شعره يورد له أكثر من مثال ، كما فعل المبرد ، وابن عبد ربه . وكان رثاؤه يمثل أحر رثاء وأصدقه حتى لنكاد نزعم أن العتبي كان في مقدمة شعراء العربية في هذا الفن ، بل يكاد يكون شاعر رثاء الأبناء في العصر العباسي كله . ولا غرابة في هذا اذا ما تذكرنا عناصر نجاح هذا الفن التي منها (أن يكون ظاهر التفجع ، بين الحسرة ، مخلوطا بالتلهف والاسف ..)[٢٥] .

ومنها صدوره عن قلوب محترقة[٢٦] ، ومنها علاقة الراثي بالمرثي ، ومنها انقطاع الرجاء ، ومنها الشاعر ، وهذه كلها توفرت في العتبي الشاعر !

---

(٢٤) ينظر النص : ٤ .

(٢٥) العمدة ١٤٧/٢ .

(٢٦) ينظر العقد الفريد ٢٢٨/٣ .

النَّصّ

١

قال أبو عبدالرحمن محمد بن عبيدالله العُتبيّ : (الهزج)

١ ـ تُراني تاركاً لِلـ
ـهِ ما أَهْوَى لِمَا تَهْوَى

٢ ـ أَنا أَشْهَدُ أنَّ الحُـ
ـبَّ مِنْ قَلبي اذا دَعَوَى

البصائر والذخائر ٤/١٠١ وفيه (.. فقال أبوه ان أقلعت عن هذا ، فقال (العتبي) لأبيه) . والبيتان في الفاضل ١٢٣ والزهرة ١/٣٢٨ وفيهما بلا نسبة .

١ ـ الفاضل : (تراني تركاً بالله) . الزهرة :
أتراني تاركاً باللـ ـه ما أقوى لما أهوى

٢

وقال: (البسيط)

١ ـ وَصَاحِبٍ لِيَ أَبنِيهِ وَيَهْدِمُني
لا يَستَوِي هادِمٌ يَوماً وَبَنَّاءُ

٢ ـ اذا رآني فَعَبْدٌ خافَ مَعْتَبَةً
وَانْ نَأَيْتُ فَثَمَّ الغِمْرُ والدَّاءُ

٣ ـ لا يَقطعُ العَينَ مِنهُ عَنْ مُلاحظةٍ
كأنَّها لاسْتِراقِ الطَّرْفِ حَوْلاءُ

والبصائر والذخائر ٢/٤٠٥ ، والاول والثاني في الصداقة والصديق ٤٨ - ٤٩ .

٢ - المعتبة : اللوم والغضب . الغِمْرُ : الحقد والغلّ .

٣

وقال يرثي ابنه : (الكامل)

١ - بأبي وأُمّي مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ
بِيدِي وَوَدَّعَنِي بِمساءِ شَبابه

٢ - كَيفَ السُّلُوُّ وكَيف صَبرِي بَعْدَهُ
واذا دُعِيتُ فانَّما أُكْنَى بِه

الكامل ٤/١٩ وفيه (قال رجل من قريش يرثي ابنه قال أبو الحسن : هو العتبي) .

والبيتان بدون نسبة في : نور القبس ١٩٤ وفيه (وقيل أخذ العتبي قوله يرثي ابنه

وكنت به أكنى فأصبحت كلما
كنيت به فاضت دموعي على نحري

من قول الشاعر (بأبي وأمي) (البيتان) .

١ - نور القبس : (من غبار حنوطه) : عبأ الطيب : صنعه وخلطه . الحنوط : كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة ، من مِسك وصندل وعنبر وكافور وغير ذلك .

٤

وقال : (الطويل)

١ - فَيا وَيحَ قَلْبٍ عَذَّبَ العَينَ بالبُكا
على كُلِّ شِفْرٍ مِن مَدامِعِها غَرْبُ

٢ ـ وَيَا وَيحَ مُشْتَاقٍ مَحَا اليَأْسُ مَارَجَا

لِحُرْقَته شَرْقٌ ولَيسَ لها غَرْبُ

الزهرة ١/٣٥١

١ ـ الغَرْب : الدلو العظيمة .

٥

وقال يرثي محمد بن عبّاد بن حبيب بن المهلب : (الطويل)

١ ـ محمّدُ انْ آنَسْتَ مِنّيَ جانبا

بِقُرْبٍ لقَدْ أَوْحشْتَ بِالبُعْدِ جانِبا

٢ ـ وقَدَ عَظُمَتْ فِيكَ المَصَائبُ انّها

تُصَغَّرُ عِنْدِي في سِوَاكَ المَصَائِبا

٣ ـ سَلَوْتُ بـه عَمَّنْ تَقَدَّمَ قَبْلَهُ

وآليتُ أُصْغِي بَعْدَهُ الوُدَّ صاحِبا

٤ ـ سَتَبْكِيكَ أَخلاقُ المُروءةِ انّها

مُغَيَّبَةٌ ما دُمْتَ عَنْهُنَّ غائِبا

التعازي والمراثي ١٨٦

محمد بن عباد : هو محمد بن عباد بن حبيب المهلبي ، أمير البصرة في زمن المأمون توفي بها سنة ٢١٦هـ ، وكان من أكابر الامراء ، جواداً ممدحاً ، وكان سيد أهل البصرة أجمعين (الاعلام ٧/٥٠) .

٦

وقال مجيباً القيني (مخلع البسيط)

١ ـ النَّاسُ عَمَّن سِواكَ يُسْلى
وفيكَ يَدعو الهَوى ويُصبي

٢ ـ وكُلَّما ازْدَدْتُ فيكَ بُعْداً
ازْدادَ قُرْباً اليكَ قَلبي

٣ ـ فَليسَ وَجْدٌ تَرَى كَوَجْدِي
بَلْ لَيسَ حُبٌّ تَرَى كَحُبّي

٤ ـ انْ كانَ جِسمِي ثَوَى غَريباً
فَانَّ رُوحِي ثَوَى بِحِبّي

تاريخ بغداد ٢/٣٢٥ ـ ٣٢٦ وفيه :

(أخبرنا علي بن محمد بن عبدالله المعدل أخبرنا أبو عمر محمد بن عبدالواحد الزاهد ، أخبرني البشاري عن الرياشي قال : كتب القَيْني الى العتبي ، وكان القيني والعتبي بالبصرة :

لو كان قلبي له جناح
لطار شوقاً اليك قلبي

(ثمانية أبيات) فأجابه العتبي)

١ ـ الحِبّ : المحبوب .

٧

وقال : (البسيط)

١ ـ قَدْ كُنْتُ أَبكي عَلى مَنْ فاتَ مِن سَلَفي
وأَهْلُ وُدّي جَميعٌ غَيْرُ أَشْتاتِ

٢ ـ والآنَ اذْ فَرَّقْتَ بَيني وَبَيْنَهُمُ

نَوًى بكَيْتُ عَلى أهْلِ المَوداتِ

٣ ـ وَمَا بَقَاءُ امرىءٍ كانَتْ مَدامعُهُ

مَقْسُومَةً بَينَ أحْيَاءٍ وأمْوَاتِ

التعازي والمراثي ١٦٤ ـ ١٦٥ وفيه (وقال أبو عبدالرحمن العتبي) .

٢ ـ النوى : البعد

٨

وقال : (الهزج)

١ ـ أرَى المَوتَ لِمَنْ أمْسَى

على الذُّلِّ لَهُ أصْلَحْ

نور القبس ١٩٣ وفيه :

(وقال العتبي : أصابتني نكبةٌ في طريق مكة ، فجعلت أمشي وأنا أقول (البيت) قال فهتف بي هاتف :

ألا يا أيّها المرء الذي الهَمُّ به برَّحْ

اذا ضاق بك الامر ففكّر في (ألم نشرحْ)

٩

وقال : (الطويل)

١ ـ بقلبيَ شيءٌ لَسْتُ أعرفُ قَدرَهُ

على أنَّهُ ما كانَ فَهْوَ شَدِيدُ

٢ ـ تَمُرُّ بهِ الأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَها
فَتَبْلَى به الأَيَّامُ وَهْوَ جَديدُ

نور القبس ١٩١ والوافي بالوفيات ٣/٤ . وفيهما :

(وقال : أول شعر قلته) .

١ ـ الوافي : (بنفسي شيء) .

٢ ـ الوافي : (فتبلى ولا تبليه وهو جديد) .

١٠

وقال في رثاء أبنائه : (المنسرح)

١ ـ كَلَّ لِساني عَنْ وَصْفِ ما أَجِدُ
وَذُقْتُ ثُكْلاً ما ذاقَهُ أَحَدُ

٢ ـ وأُوطِنَتْ حُرْقَةً حَشَايَ فَقَدْ
ذَابَ عَلَيْها الفُؤَادُ والكَبِدُ

٣ ـ انْ أَزْمَعَتْ بِالعَزاءِ لَجَّ بِها الـ
ـشَّوْقُ فَنِيرانُ حَرِّها تَقِدُ

٤ ـ ما عَالَجَ الحُزْنَ والحَرارَةَ في الـ
أَحْشاءِ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَهُ وَلَدُ

٥ ـ فُجِعْتُ بِابْنَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُما
الاَّ لَيالٍ لَيْسَتْ لَها عَدَدُ

٦ ـ فَالنَّفْسُ تُطْوَى على أَحَرَّ من الـ
ـجَمْرِ وأَدْنَى أَرْجائِها الكَمَدُ

٧ ـ وكُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلى قِدَمِ الدَّ
هْـرِ وَحُـزْني يُجَـدِّدُهُ الأَبَدُ

التعازي والمراثي ١٦٥ ـ ١٦٦ ، والابيات : ١ ـ ٢ ، ٤ ـ ٥ ، ٧ في : الكامل ٤/٢٥ وفيه :

(وقال أبو عبدالرحمن العتبي وتتابع له بنون) . والابيات : ١ ، ٤ ـ ٥ ، ٧ في : الطرائف الادبية منسوبة الى ابراهيم الصولي ، والأبيات (٤ ـ ٥ ، ٧) في : عيون الأخبار ٣/٦٠ والبيتان : ١ ، ٤ في : معجم الشعراء ٣٥٦ ـ ٣٥٧ وفيه : (فمات منهم ستة فرثاهم بمراث كثيرة منها قوله) . والرابع بلا عزو في حماسة الظرفاء ١/١٢٦ .

١ ـ الثُكْل : فقد الحبيب .

٣ ـ أزمعت : أسرعت : تَقِد : تشتعل

٤ ـ الحماسة (ما عالج الهمّ) .

٦ ـ الأرجاء : جمع رجا : النواحي . الكمد : الحزن الشديد .

٧ ـ يجدّه : يُجدّده . الأبد : الدهر .

١١

وقال يرثي أخته : (الطويل)

١ ـ لَقَدْ خَانَني صَبْرِي بِأُمِّ مُحَمَّدٍ
فَلَمْ يَبْقَ لي الاَّ التَّأَسُّفُ مِن جَهْدي

٢ ـ سِوَى أنَّ صَبْرِي تَحتَهُ مُسْتَكِنَّةٌ
مِنَ الحُزْنِ ما تُبْقي عَلى الرَّجُلِ الجَلْدِ

٣ ـ وَانّي مُذِ اليوم الذي لَمْ أُطِقْ بِهِ
عَنِ ابنةِ أُمّي مَدْفَعاً لَعَلَى وَعْدِ

٢ ـ المستكنة : الوَقدة من الحزن • الجَلْد : الصَّبور على المكروه •

٢ ـ المسكنة : الوَقدة من الحزن • الجَلْد : الصَّبور على المكروه •

١٢

وقال : (المتقارب)

١ ـ ولمَّا رأيتُكَ لا فاسِقاً
قَوِيّاً ولا أنت بالزَّاهِدِ

٢ ـ ولَيْسَ عَدوُّكَ بالمُتَّقِي
ولَيسَ صَديقُكَ بِالحامِد

٣ ـ أَقَمتُكَ في السُّوق سُوقِ الرَّقيقِ
ونَادَيْتُ : هَلْ فِيكَ مِن زائِدِ

٤ ـ عَلى رَجُلٍ غَادِرٍ بالصَّديقِ
كَفُورٍ لِنَعْمائِهِ جَاحِدِ

٥ ـ فَما جاءَني رَجُلٌ واحِدٌ
يَزِيدُ عَلى دِرْهَمٍ واحِدِ

٦ ـ سِوَى رَجُلٍ خانَهُ عَقْلُهُ
وَحَلَّتْ بِهِ دَعْوَةُ الوالِدِ

٧ ـ فَبِعْتُكَ مِنهُ بِلا شاهِدٍ
مَخَافَةَ رَدِّكَ بالشَّاهِدِ